حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صفحات مطوية من تاريخ مصر
بدر الجمالي (ت 487هـ) "انموذجا"

م.د إيمان سليم كاظم حسين الجبوري*

وزارة التربية العراقية – مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية
aljubourieman@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/01
تاريخ قبول البحث: 2022/10/27
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

تطرق البحث إلى تاريخ مؤسس الأسرة الجمالية بدر الجمالي مروراً بدوره في الخلافة الفاطمية منذ نشأته وظهوره وتدرجه بالوظائف حتى استيزاره في الخلافة الفاطمية كما تناولنا القابه ثم وفاته بعد ذلك درسنا توليه امارة دمشق سنة (455هـ/1062م) وامارة الشام سنة (458هـ/1065م) وعبوره الى مصر واجراءاته التي اتخذها في اعادة الأمن والأستقرار الى مصر بعد قضائه على مظاهر الفوضى والفساد وقضاءه على الثورات في جميع انحاء مصر سواء في القاهرة او الصعيد كما قضى على المحاولات الخارجية في السيطرة على مصر بعد ذلك تطرقنا الى اصلاحاته الإدارية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية واخيرا وضحنا علاقته بالخليفة المستنصر بالله خلال فترة توليه الوزارة والتي دامت لأكثر من واحد وعشرين سنة.

اعتمدت في كتابة البحث على عدد من المصادر التاريخية والفاطمية وعدد من المراجع ومن مصادر التراجم كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان وغيره من كتب التراجم ومن المصادر الجغرافية كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي وغيره ومن المصادر التاريخية ابرزها الكامل في التاريخ لابن الاثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيره من كتب التاريخ ومن المصادر الفاطمية فأبرزها مؤلفات المقريزي ككتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي وكتاب اخبار الدول المنقطعة لابن ظافر وكتاب اخبار مصر لابن ميسر والعديد من المصادر الفاطمية، اما المراجع فاستعنت بكتاب الدولة الفاطمية المصرية لأيمن فؤاد السيد وكتاب تاريخ الدولة الفاطمية لمحمد جمال الدين سرور وغيرها من المراجع.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

المبحث الاول:

اولاً: سيرة بدر الجمالي(405- 487 هـ/1014-1094 م):

طغت سمعة امير الجيوش بدر الجمالي بين امراء الشام من الاتراك والعرب والكرد، لكونه يُعد اشهر امراء العسكر الذين ظهروا خلال مدة خلافة المستنصر بالله الفاطمي (427-478ه)[1]في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

نشأته وظهوره:

يرجع ظهور بدر بن عبد الله أبو النجم الجمالي[2] الى ايام الربع الاول من القرن الخامس الهجري عندما كان مملوكاً[3]من اصول ارمنية ليعمل ضمن افراد حرس امير طرابلس[4] جمال الدولة [5].إذاشتراه الأخيروترعرع عنده ورجحت حضوضه بفعل تأثيره ومكانته،فكان من بين الرجال المعدودين في صلادة المشورة والشهامة وقوةالعزم[6] شديد البطش عالي الهمة عظيم الهيبة[7]. كنّي ببدر الجمالي لكونه كان مملوكا لجمال الدولة ابن عمار[8]وفيما عدا ذلك لا يُعرف عن نشأته الاولى شيء سوى تدرجه الوظيفي. فبقى يتنقل في الوظائف المختلفة ويتدرج في الرتب حتى عمل حاجباً عند صاحب دمشق[9]الذي بدوره لم تسعفنا المصادر في معرفة الشيء الكثير عنه "والذي استكفاه فيما وراء بابه. فاظهر بدر الحزم والضبط للأمور ثم ترقت به الولايات فبرزت شخصيته من بين أحد الشخصيات العسكرية المتنفذة في ضبط الأمن بمركز الادارة في دمشق والمدن الشامية.فقام الخليفة المستنصر باستدعائه وتكليفه في ضبط الأمن في دمشق قبل تكليفه بتحمل مهمة الوزارة للخليفة المستنصر بالله" [10]ومن ذلك يبدو جلياً ان بدر الجمالي لم يكن ينحدر من اسرة سليلة مرموقة في دواوين الادارة بل تدرج في الوظائف واثبت مقدرة ومهارة فائقتين في اعماله العسكرية والسياسية على حدٍ سواء[11].

القابه:

يلحظ على القاب وزراء الدولة الفاطمية الاكثار من فخامة الالقاب والعناية بها فكانت الالقاب في البدء اقرب الى النعوت المعنوية والفخرية،غير ان التطور واكب القاب الوزراء فيما بعد لاسيما بعد تولي بدر الجمالي الوزارة[12]إذ علاوة لـ لقب امير الجيوش فقد لقبه المستنصر "كافل قضاة المسلمين "[13] "وهادي دعاة المؤمنين "[14] "ونعت بالسيد الأجل أمير الجيوش"[15] "وسيف الإسلام، ناصر الأنام "[16]غير ان اكثر لقب اشتهر به بدر الجمالي هو امير الجيوش باعتباره المهيمن على الجيش وكان يكتفى احيانا بذكر لقبه هذا من غير ذكر اسمه[17].

كان بدر الجمالي اول قائد عسكري يوليه الفاطميون مهام الوزارة، إذ غدت منذ أن تولاها بدر تقوم مقام السلطنة[18] " فالوزير إذ ذاك كان في منزلة السلطان "[19].

أصوله:

تجمع المصادر التاريخية على ان اصل بدر الجمالي ارمني[20][21].

ثانياً: ولايات بدر الجمالي لبلاد الشام:

ذكرت المصادر ان بدر الجمالي ولي امارة دمشق مرتين وذلك بين عامي (455هـ/1063م) و (458هـ/1065م) وكانت له وقائع واحداث [22]

ولاية بدر الجمالي لأمارة دمشق الاولى (455هـ/ 1062م)

"ولي إمرة دمشق في سنة خمس وخمسين وأربعمائة وانفصل بعد عام"[23]"وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل إليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند، فثاروا عليه ووافقهم العامة فضعف عنهم وفارقها في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة"[24].

ولاية بدر الجمالي الثانية لدمشق والشام (658هـ / 1065م):

" في سنة ثمان وخمسين واربعمائة من شهر جمادي الاول ولى المستنصر امير الجيوش بدر الجمالي الشام بأسره فخرج وقدم دمشق في السادس من شعبان"[25]. "وعند وصوله نزل مرج الحديد[26] اياما فبلغه مقتل ولده بعسقلان[27] فدخل القصر واقام فيه الى ان بدأت الفتنة بينه وبين عساكر دمشق واهلها،فخرج من القصر ونشبت الحرب بينهم في يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادي الاولى سنة 460هـ وخربت بعض اجزاء القصر في الحادثة،ونهب ما كان فيه. فلما عاد بعد ذلك ومعه العساكر الجمة من العرب وسائر الطوائف نزل على مسجد القدم في رمضان سنة 460هـ،وجرى الاتفاق على رحيله عنها،فخرج من في البلد من العساكر والاحداث الى القصر،واحرقوا ما كان سالما منه ودمروا اخشابه بحيث شمله الخراب من كل جهاته "[28]ونهب أهلها خزائنه لأنّه كان مسيئا إليهم[29]ويقال ان من اسباب ثورة اهل دمشق عليه ان بدر الجمالي " كان مسيئاً اليهم فنهب اهلها خزائنه و دوابه "[30].عقب ذلك أخذ يتنقل في الامرة من دمشق الى صور حتى ملكها [31]، إلى ان تمكن بدر الجمالي في مدة امارته من فرض قوته واخضاع دمشق وصور وعسقلان لولايته،والقضاء على جميع الاضطرابات في الشام لتعود تحت سلطان الحكم الفاطمي[32]، ويذكر ان" بدر الجمالي كان مقيما بالشام مظهرا الطاعة للمستنصر والموالاة له والميل اليه "[33].

ثالثا: استدعاء بدر الجمالي للقاهرة:

"في أيّام حكم المستنصر ثارت الفتن في مصر بين كبار القادة في بني حمدان وغلت الأسعار واضطربت الأحوال واختلّت الأعمال وحوصر في قصره ولم يزل على ذلك الحال حتّى استدعى بدرا الجمالي من عكّا إلى مصر[34] للقدوم لنجدته ومعاضدته، واعداً اياه بتملك البلاد والاستيلاء عليها، واشترط عليه أنه يقدم بعسكر معه وأن لا يُبقي أحدا من عساكر مصر ولا وزرائهم، وجاء بالقول" إن الجند قد فسدوا، ولا يمكن إصلاحهم، فإن أذنت أن استصحب معي جندا حضرت وأصلحت الأمور"[35] فأجابه المستنصر إلى ذلك فأخذ في الاستعداد للإبحار إلى مصر واستخدم معه عدد من العساكر وركب بحر الملح من عكا وكان الوقت في شهر كانون الثاني من الاشهر الميلادية وهو أشد ما يكون من البلاء ومن العادة أن البحر لا يركب في الشتاء فسار في مائة مركب وقد حذر من ركوبه وخوف حينها من سوء العاقبة،فلم

يصغ لذلك وكأن الله سبحانه قد صنع له ومكن له في الأرض وقضى بأن يصلح على يديه ما قد فسد من إقليم مصر فأبحر بعساكره في المراكب، وأضحت السماء وواتتهم ريح طيبة سارت بهم إلى دمياط[36] ولم يمسسهم سوء فكان يقال إنه لم ير في البحر قط صحوة تمادت أربعين يوما إلا في ذلك الوقت فكان هذا ابتداء سعادته وأول عظيم حضه فنزل بدمياط وطلب إليه التجار من مختلف المدن وافترض عليهم مالا[37] و عند بلوغه القاهرة نصبه المستنصر في وزارته وكان فيما تضمنه تقليده "وقد قلدك أمير المؤمنين جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ما ولى لسريره"[38].

" ودخل بدر عشية يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى فتلقاه أهل الدولة وأنزلوه، وبالغوا في إكرامه فأظهر أنه ما جاء إلا شوقا إليهم، وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق، وأعرض عن المستنصر ولم يذكره إلا بالسوء؛ وصار من معه يدخلون إلى القاهرة وحدانا ورجالا في الخفية حتى تكامل منهم تسعمائة" [39]فقلده الخليفة المستنصر بالله الوزارة " وولي الوزارة أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي فأقام فيها إلى أن توفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة "[40] وقلده ادارة البلاد[41]، وتورد المصادر انه" تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيما ودارت أزمة الأمور على آرائه، وفتح بلادا كثيرة وامتدت أيامه وتعالى صيته وامتدحته الشعراء"[42]فحكم بدر الجمالي مدة عشرين عاما (466-487هـ/1074-1094م) استطاع خلالها القيام بالعديد من الاصلاحات في جوانب عدة.

رابعاً: وفاته:

اختلف المؤرخون في وفاة بدر الجمالي فذكر المقريزي[43]" في شهر ربيع وقيل في جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين وأربعمائة من مرض نزل به من أول السنة حتى سكت فلم يقدر على الكلام إلى أن مات وقد ناهز ثمانين سنة "[44] وسميت السنة التي مات فيها بدر الجمالي "سنة موت الخلفاء والأمراء"[45]ودام حكم بدر الجمالي في مصر واحد وعشرين سنة واشهراً[46].

المبحث الثاني:

اصلاحات بدر الجمالي:

استلم بدر الجمالي منصب الوزارة و ادارة الدولة الفاطمية لأكثر من عقدين وكانت الاوضاع في مصر كما وصفها المقريزي[47]بأن" الاحوال قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد انتشرت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر وقبيلة لواتة قد ملكت الموجه البحري، والطرقات قد انقطعت الا بالخفارة الثقيلة والخراب قد شمل مصر " فوطد بدر الجمالي اوتادها وشيد اساسها واعاد الى الدولة وجهها المضيء بعد شحوبه وشبابها الغض بعد مشيبه"[48] فأستطاع بدر الجمالي بعزمه ومهارته ان يعيد الى البلاد المصرية ما كانت تتمتع به من رخاء قبل الشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات (456-464ه)[49].

اولاً: اصلاحاته العسكرية:

بدأ بدر الجمالي أصلاحاته العسكرية بالتخلص من العنصر التركي في الدولة الفاطمية فدبر لهم" استدعى أمراء الدولة ومقدميها في صنيع أعد لهم،فمضوا إليه وقضوا نهارهم عنده وباتوا في أطيب عيش وأنعم بال وقد رتب أصحابه

ليقتل كل واحد أميرا من الأمراء ويكون له جميع ما بيده فلما سكروا وامتد عليهم رواق الليل صار يخرج كل واحد من باب ويسلمه إلى غلام من غلمانه ويمضي إلى داره فيتسلمها بما فيها من الخدم والأموال فلم يصبح الصباح إلا ورؤوس الجميع بين يديه وقد استولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان لهوأخذ في القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم أحدا يشار إليه فقويت شوكته واشتدت وطأته وعظم أمره فحسر عن ساعد الجد، وشمر ساعد الاجتهاد والتقط المفسدين فلم يبق على أحد منهم، وتطلبهم في القاهرة ومصر حتى أتى على جميعهم القتل" [50]وعند قدومه من عكّا أقام له جندا وعسكرا من الأرمن، فصار من حينئذ معظم الجيش الأرمن، وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعيّة بعد إن كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها [51].

وبذلك اصبح اغلب الجيش الفاطمي مؤلف من العنصر الارمني [52] وعرف أولئك الارمن بالمشارقة تمييزاً لهم عن المغاربة والاتراك والسودان[53].

كما قام بدر الجمالي في سنة (467هـ) بالقضاء على العبيد في الصعيد فيذكر ابن ظافر[54] " في هذه السنة سابت اليه العبيد من الصعيد الى القاهرة فخرج اليهم وهزمهم ثم هزمهم هزيمة فاضحة استأصلهم بها وثم الى اسوان[55]".

وفور انتهاء بدر الجمالي من اعادة النظام الى الدولة والقضاء على المعارضين فوضه الخليفة المستنصر في جميع سلطاته، ومنحه اشرافا عاما على شئون الدولة وهكذا اصبح بدر الجمالي اول قائد عسكري يوليه الفاطميون الوزارة التي اصبحت منذ هذا التاريخ 467هـ تقوم مقام السلطة[56] ويذكر المقريزي[57] "صارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها: أمير الجيوش، وبطل اسم الوزارة".

واضفى بدر الجمالي شهرة على هذا اللقب حتى انه حل محل اسمه الشخصي للتدليل عليه واحتفظ بدر الجمالي لوحده بهذا اللقب [58] ، وعرفت الفرق العسكرية التي أنشأها امير الجيوش بدر الجمالي اسمها من لقب الجمالي فسميت بالجيوشية [59].

وفي عام 469هـ هاجم اتسز[60] مصر وحاول الهيمنة عليها غير انه فشل في ذلك ويذكر ابو الفداء[61]تلك الواقعة " ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة وفيها سار أتسز المتولي على دمشق إلى مصر وعاد منكسراً إلى الشام ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وكان قد أرسل بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر عسكراً إلى حصار أتسز بدمشق، فأرسل أتسز يستنجد تتش وهو نازل على حلب يحاصرها فسار تتش إلى دمشق فلما قرب منها رحل عنها عسكرمصر كالمنهزمين فلما وصل إلى دمشق ركب أتسز لملتقاه بالقرب من المدينة فأنكر تتش عليه تأخره عن الطلوع إلى لقائه وقبض على أتسز وقتله وملك تتش دمشق " وبذلك يظهر ما حققه بدر الجمالي من انجازات عسكرية في مصر.

ثانياً: اصلاحاته الإدارية

اهتم بدر الجمالي بتنظيم الاحوال الادارية فعمل على اعادة الامن والاستقرار في القاهرة وابدى اهتماما ببقية المناطق من البلاد لفرض هيبته عليها ونجح بدر الجمالي في القضاء على الفوضى الادارية واعاد توحيد البلاد تحت السلطة المركزية" فكان الجمالي الهبة التي وهبها الله لدولة امير المؤمنين وللاسلام.فظهرت واشرقت والذي اسهم في

الصلاح وعالج الامور بكياسة اذلت الاسود الضراغم واجلت السود الاراقم حتى اصبحت المملكة بلطف الله محفوظة النظام مكبوتة الاضداد "[62].

وفي صدارة الانجازات الادارية للجمالي شطر مصر الى اربع ولايات رئيسة وهي قوص والشرقية والغربية والاسكندرية علاوة علىالقاهرة والفسطاط وحفظ ذلك النظام الجديد لحكام تلك الولايات سلطة متعاظمة[63]. وكان والي قوص من اقوى الولاة الاربعة ويحكم على جميع بلاد الصعيد ويلي رتبته رتبة الوزير في الاهمية[64] وتمكن بدر الجمالي من اعادة نفوذ الخليفة على جميع البلاد حتى اسوان[65].

ثالثاً: الإصلاحات الاقتصادية

كان على بدر الجمالي مجابهة مهمة شاقة وهي إنقاذ الخلافة الفاطمية اقتصاديا بعد تعرضها للازمة الاقتصادية التي حدثت بين السنوات (457–464هـ/1064 – 1071م) فقام باتخاذ عدة إجراءات تمكن من خلالها القضاء على تلك الازمة وتحسين الاوضاع الاقتصادية للخلافة " فنادى بإباحة الزرع لمن زرع،وبذر بغير خراج ثلاث اعوام فكثر الزرع لرغبتهم في عدم وزن الخراج فما مضى الثلاث حتى استغنوا فوضع الخراج في الرابعة واقتصر فيما يقال على جباية النصف وسمح للزراع بالنصف ثم صار بعد ذلك يستوفي الخراج بعد ان عمرت الارض كلها"[66]وقام بدر الجمالي بعدة اصلاحات اخرى منها " تشييد الجسور وحفر الخلج وتمكين أهلها على العمارة"[67].

كما " أباح للناس من العسكرية والعامة بزراعة الأرض، وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر، وعمروا بها في القاهرة، وكان هذا أوّل وقت اختط الناس فيه بالقاهرة"[68] " وفيها ابتدأ أمير الجيوش في بناء سور القاهرة "[69].

رابعاً: أعماله العمرانية

أ- سور القاهرة

وعند مجيء بدر الجمالي الى القاهرة سنة 466هـ/1072م أوعز بتجديد بناء اسوار القاهرة بين سنتي (480-485 هـ/1087 – 1092م) " في سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التي تقابل جامع الحاكم إلى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الأبواب من حجارة، وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وثمانمائة ابتدأ بهدم سور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج ووسع السور في الأماكن نحو العشرة أذرع "[70] وعند قيام بدر الجمالي ببناء السور وضع جامع الحاكم خارج القاهرة[71].

ب- مسجد الجيوشي

اقام بدر الجمالي مسجدا رائعا على جبل المقطم سنة (472ه) وعرف بمشهد الجيوشي نسبة الى امير الجيوش بدر الجمالي وتميز المسجد بقيمته الرائعة ومئذنته التي تعد اول صورة للمآذن الفاطمية لاسيما وانها مرحلة من مراحل تطور

المئذنة المصرية، إذ تتألف المئذنة من قاعدة مربعة مرتفعة البناء هي ابرز ما في المئذنة وفي اعلاها الزخرفة من صفين من المقرنصات ويتوج المئذنة قبة من الآجر[72].

ج- مسجد العطارين

وكان يقوم موضعه مسجد قديم اصيب بأضرار فادحة فتهدمت جدرانه وتهاوى سقفه فأمر بدر الجمالي سنة (477هـ) بأصلاح المسجد وترميمه[73].

خامساً: علاقة بدر الجمالي بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله (466- 487هـ / 1074 – 1094م)

فور ان انتهى بدر الجمالي من اعادة النظام الى الدولة والقضاء على المعارضين فوضه الخليفة المستنصر في جميع سلطاته ومنحه اشرافاً عاماً على شئون الدولة وبذلك اصبح الجمالي اول قائد عسكري يوليه الفاطميون الوزارة التي اصبحت منذ ذلك التاريخ 467هـ/1074م تقوم مقام السلطة[74] فأخذت الوزارة معنى اخر غير معناها القديم فأصبحت بيد بدر الجمالي جميع السلطات المدنية والحربية والتشريعية[75].

ويذكر المقريزي[76] " ووزر للمستنصر وزير سيف، ولم يتقدّمه في ذلك أحدوترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الأمور كلها مردودة إليه ومنه إلى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الأجل أمير الجيوش وهو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق،وأضيف إليه كافل قضاة المسلمين،وهادي دعاة المؤمنين،وجعل القاضي والداعي نائبين عنه ومقلدين من قبلهوكتب له في سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وأناط بك النظر في كل ما وراء سريره فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدمرا أهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك ولقب بقاضي القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة وقتذا ك وزارة تفويض[77] ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة".

وبتولي بدر الجمالي وزارة التفويض وامرة الجيوش بدا عصر جديد في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر،عصر تحكم فيه الوزراء ارباب السيوف[78] " وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة، هو سلطان مصر، وصاحب الحل والعقد، وإليه الحكم في كافة من الأمراء والجند، والقضاة، والكتاب، وسائر الرعية، وهو الذي يولي أرباب المناصب الديوانية"[79].

واصبح طوال حقبة وزارته وكأن بدر الجمالي هو الذي يقود الدولة الفاطمية[80]" ثمّ ظفر الجماليبالحكم وصار المستنصر في قصره كالمحجور عليه ولا حكم له"[81].

وفق ماتقدم اتضح ان بدر الجمالي انفرد بالسلطة نتيجة لضعف الخلافة واصبح المستنصر العوبة في يد بدر الجمالي فقلده الخليفة المستنصر مهمة الاشراف على القضاء والدعوة " وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين "[82] وبذلك يكون قد قلده امور الدنيا والدين[83].

Abstract

Important pages from the history of Egypt Badr Al-Jamali (d. 487 AH) "A Model"

By Iman Salim Kazem Hussein Al-Jubouri

tataraq albahth 'iilaa tarikh muasis al'usrat aljamaliat badr aljamalii mrwraan bidawrih fi alkhilafat alfatimiat mundh nash'atih wazuhurih watudrijih bialwazayif hataa aistizarih fi alkhilafat alfatimiat kama tanawalna alqabah thuma wafaatah baed dhalik darsna tawaliyh amarat dimashq sanatan (455h/1062ma) wamarat alshaam sanatan (458h/1065ma) waeuburuh ala misr wajara'atih alati aitakhadhaha fi aeadat al'amn wal'ustaqrar ala misr baed qadayih ealaa mazahir alfawdaa walfasad waqada'ih ealaa althawrat fi jamie ainha' misr sawa' fi alqahirat aw alsaeid kama qadaa ealaa almuhawalat alkharijiat fi alsaytarat ealaa misr baed dhalik tataraqna ala aisilahatih al'iidariat waleaskariat walaiqtisadiat waleumraniat wakhyran wadahna ealaqatah bialkhalifat almustansir biallah khilal fatrat tawaliyh alwizarat walati damat li'akthar min wahid waeishrin sanatan.

الهوامش

([1]) المستنصر بالله: أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله بويع بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره وأقام في الأمر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس وولي الأمر وهو ابن سبع سنين حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان النبي يوسف (عليه السلام) وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضاً حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة. ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي الإربلي(ت 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ط1 (بيروت، دار صادر، 1994م) ج 5 ص 229–230.

([2]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الاعلام (القاهرة، دار العلم للملايين، 2002م) ج2 ص 45.

([3]) المملوك: خلاف الحر من الرقيق البيض الذين يشترون بالمال من بلاد الترك او الروم وحتى من بلاد فارس وغالبا ما يولدون من أبويين حريين ويقعون بسبب الحروب وما شابه بايدي غيرهم فيقومون ببيعهم في مدن البلاد فيقوم الحكام بشرائهم وتدريبهم واضافتهم الى الجيش ايام الحرب. ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على(ت 711ه) لسان العرب، ط3 (بيروت، دار صادر، 1414ه) ج3 ، ص270 ؛ احمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام (بيروت، دار النهضة، 1986م) ص 11.

([4]) طرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا وقد خرج من أطرابلس هذه خلق من أهل العلم منهم. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ) معجم البلدان، ط2 (بيروت، دار صادر، 1995م) ج1 ص216 -217.

(5) جمال الدولة: ابي الحسن علي بن محمد بن عمار قاضي الاسكندرية ومولى بدر الجمالي وكان يخطب للعلوية في مصر قتل سنة حكموا طرابلس في الشام قتل سنة 487هـ. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 847هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط2 (بيروت، دار الفكر، 1988م) ج3 ص 600 ؛ زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي (بيروت، دار الرائد العربي، 1980م) ص 160.

([6]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2 ص 448-449 ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت764هـ) الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت، دار احياء التراث، 2000م) ج10 ص 59.

([7]) ابن الصيرفي، علي بن منجب (ت 542ه) الاشارة الى من نال الوزارة، تح: عبدالله مخلص (القاهرة، مطبعة المعهد العالي الفرنسي، 1923م) ص58.

([8]) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت 845ه) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، جمال الدين الشيال و محمد حلمي محمد، ط 1 (القاهرة، لجنة احياء التراث الاسلامي، د.ت) ج 2 ص 329.

([9]) ابن الصيرفي، الاشارة، ص 58.

([10]) ابن خلدون، العبر، ج 4 ص 81.

([11]) دخيل، الدولة الفاطمية، ص 56.

([12]) محمد حسن دخيل، الدولة الفاطمية، ط1 (بيروت، مكتبة مؤمن قريش، 2009م) ص 37.

([13]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص 313.

([14]) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت 845ه) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418ه) ج 2 ص 242.

([15]) المقريزي، الخطط، ج 2 ص 349.

([16]) المقريزي، الخطط، ج 2 ص 387.

([17]) دخيل، الدولة الفاطمية، ص 38.

([18]) دخيل، الدولة الفاطمية، ص 74.

([19]) القلقشندي، صبح الاعشى، ج 10 ص 453.

([20]) ارمينيا: بلد معروف يضمّ كورا كثيرة سمّيت بكون الأمن فيها وقيل سمّيت بأرمون بن لمطى بن يومن ابن يافث بن نوح و دبيل مدينة أكبر من اردبيل وهى أجلّ ناحية وبلدة بأرمينية الداخلة وهى قصبة ارمينية فيها دار الإمارة منها دون جميع نواحي ارمينية. ابن حوقل، محمد بن حوقل (ت 367ه) صورة الارض (بيروت، دار صادر، 1938م) ج 2 ص 342؛ البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487ه) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط3 (بيروت، عالم الكتب، 1403ه)ج1 ص 141.

([21]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2 ص448 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10 ص 59 ؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748ه) العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بن بسيوني (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) ج 2 ص321.

([22]) دخيل، الدولة الفاطمية، ص 56.

([23]) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089ه) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط1 (دمشق، دار الفكر العربي، 1986م) ج 5 ، ص279.

([24]) ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد (ت630ه) الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1997م) ج 8 ص 187.

([25]) ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي (ت 814ه) اخبار مصر، تح: ايمن فؤاد السيد (القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، 1981م) ص 30.

([26]) باب الحديد: من ابواب دمشق وهذا الباب مبني بالحجارة الضخمة ومحفور على الحجر الذي بأعلاه من الخارج بعد البسملة وهذا الباب يقرب من جامع السنابلة وبجانبه عن يسار الخارج منه تربة يقال للمدفونة بها الست جابية وبجانبها سويقة حوانيتها صغيرة وطريقها ضيق جدا. العمري، أحمد بن يحيى (ت 749ه) مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط1 (ابو ظبي، المجمع الثقافي، 1423ه) ج3 ص 511؛ عبدالقادر بن احمد بدران، منادمة الاطلال ومسامرة الاطلال، تح: زهير الشاويش، ط2 (بيروت، المكتب الاسلامي، 1985م) ص 40.

([27]) عسقلان: وهو اسم اعجمي معناه أنها في أعلى الشام وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الأفرنج خذلهم الله في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة 548 وبقيت في أيديهم خمسا وثلاثين سنة إلى أن استنقذها صلاح الدين يوسف بن أيوب منهم في سنة 583، ثم قوى الأفرنج وفتحوا عكا وساروا نحو عسقلان فخشي أن يتم عليها ما تم على عكا فخربها في شعبان سنة 587. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4 ص 122.

([28]) ابن القلانسي، ابي يعلى حمزة (ت 555ه) ذيل تاريخ دمشق (بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، 1908م) ص 93.

([29]) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت 874ه) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر، دار الكتب، د.ت) ج5 ص 80.

([30]) سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله (ت 654ه) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح: محمد انس و كامل محمد، ط1 (دمشق، الرسالة العلمية، 2013م) ج 19 ص 203.

([31]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص80.

([32]) العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت 852ه) رفع الاصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، ط1 (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998م) ج1 ص91.

([33]) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 91.

([34]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج5 ص 4.

([35]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748ه) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط2 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1993م)، ج 31 ص 26.

([36]) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2 ص 472.

([37]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص 311.

([38]) العسقلاني، رفع الاصر، ج1 ص 36.

([39]) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج 2 ص218.

([40]) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911ه) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1 (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1967م) ج 2 ص204.

([41]) العسقلاني، رفع الاصر، ج 1 ص92.

([42]) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774ه) البداية والنهاية ، تح: علي شيري، ط 1 (القاهرة، دار احياء التراث العربي، 1988م) ج2 ، ص181.

([43]) اتعاظ الحنفا، ج 2 ص 329.

([44]) ابن ظافر، جمال الدين علي بن ظافر (ت613 ه) اخبار الدول المنقطعة، تح: اندريه فريه (القاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، 1972م) ص 81.

([45]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص 139.

([46]) دخيل، الدولة الفاطمية، ص 80.

([47]) المقريزي،اتعاظ الحنفا، ج2 ص 299.

([48]) الداعي ادريس، عماد الدين القرشي (ت 872ه) ، عيون الاخبار وفنون الاثار ، تح: مصطفى غالب (بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر، 1975م) السبع السابع ، ص159.

([49]) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية (مصر، دار الفكر العربي، 1995م) ص 100.

([50]) المقريزي،اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص311.

([51]) المقريزي ، الخطط، ج 3 ، ص23.

([52])العسقلاني ، رفع الاصر ، ج2 ، ص631.

([53]) جمال ، الدولة الفاطمية ، ص99.

([54]) اخبار الدول المنقطعة، ص 76.

([55]) اسوان: وبها تجار المعادن وهي في الجانب الشرقي من النيل وهي ذات نخل كثير ومزروع وتجارات مما يأتي من بلاد النوبة والبجة وبها نخيلا كثيرا وزروعا وهى اكبر مدن الصعيد. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (292ه) البلدان، ط1 (بيروت، دار

الكتب العلمية، 1433ه) ص 172؛ الاصطخري، إبراهيم بن محمد (346ه) المسالك والممالك (بيروت، دار صادر، 2004م) ص 53.

(56) ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م) ص 321.

([57]) الخطط، ج 2 ص 346.

([58]) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص322.

([59]) القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت 821ه) صبح الاعشى في صناعة الانشاء (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) ج3 ، ص552.

([60]) اتسز: أتسز بن أوقبن الخوارزمي التركي ولي دمشق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة بعد حصاره إياها دفعات وأقام بها الدعوة لبني العباس وتغلب على أكثر الشام وقصد مصر ليأخذها فلم يتم له ذلك ثم رجع إلى دمشق ووجه المصريون إليه عسكرا ثقيلا فلما خاف من ظفرهم به راسل تتش بن ألب أرسلان يستنجد به فقدم دمشق سنة إحدى وسبعين وأربعمائة فغلب على البلد وقتل أتسز لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر من هذه السنة واستقام الأمر لتتش وكان أتسز لما دخل البلد أنزل جنده ادر الدمشقيين واعتقل من وجوههم جماعة وشمسهم بمرج راهط حتى افتدوا نفوسهم منه بمال أدوه إليه ورحل جماعة منهم عن البلد إلى أطرابلس إلى أن أريحوا منه بعد قرأت بخط شيخنا أبي محمد بن الأكفاني نزل الملك أتسز بن الخوارزمي على دمشق محاصرا لها في يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان من سنة سبع وستين وأربعمائة ثم انصرف عنها يوم الثلاثاء النصف من شوال من سنة سبع وستين وأربعمائة وعاد إلى النزول على دمشق عقيب هرب معلى بن حيدرة بن منزو عن دمشق إلى بانياس في يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة ورحل عنها يوم الجمعة لأربع خلون من صفر من سنة ثمان وستين وأربعمائة ونزل على دمشق في شعبان من سنة ثمان وستين وأربعمائة ولم يزل محاصرا لها وغلت الأسعار ولم يقدر على شئ من الأقوات وبلغت غرارة الحنطة زائدا عن عشرين دينارا ثم أنه فتح البلد صلحا ودخلها هو وعسكره يوم الإثنين الحادي والعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وستين وأربعمائة وسكن في دار الإمارة الأمارة داخل باب الفراديس وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة خطب على منبر جامع دمشق عمره الله تعالى للخليفة الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة للدين أبي العباس بن الإمام أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله ابن القادر بالله وكان اخر ما دعي للمصريين يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة من سنة ثمان وستين وأربعمائة وكانت مدة ولاية أتسز ثلاث سنين وستة أشهر وأحد وعشرين يوما وقتل لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571ه) تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة (بيروت، دار الفكر للطباعة، 1995م) ج 7 ص 348–349.

([61]) إسماعيل بن علي (ت 732ه) المختصر في اخبار البشر، ط1 (مصر، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت) ج 2 ص 192–194.

([62]) السجلات المستنصرية ، تح: عبد المنعم ماجد (مصر، دار الفكر العربي، 1954م) ص64 .

([63]) سيد، الدولة الفاطمية، ص 216.

([64]) سيد، الدولة الفاطمية، ص 217.

([65]) سرور، الدولة الفاطمية، ص 99.

([66]) العسقلاني، رفع الاصر ، ص 94.

([67]) المقريزي، الخطط، ج1 ص 140–142.

([68]) المقريزي، الخطط، ج1 ص 12.

([69]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3 ص 321.

([70]) المقريزي، الخطط، ج 2 ص 237.

([71]) المقريزي، الخطط، ج 2 ص 241.

([72]) عبد العزيز سالم و سحر عبد العزيز، تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2002م) ص 200.

([73]) عبدالعزيز، تاريخ مصر، ص 200.

([74]) سيد، الدولة الفاطمية. ص 321.

([75]) احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، د.ت) ص 305.

([76]) الخطط، ج2 ص 346.

([77]) وزارة التفويض: فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده وليس يمتنع جواز هذه الوزارة ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها؛ ليستظهر به على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل. الماوردي، علي بن محمد بن محمد (ت 450ه) الاحكام السلطانية (القاهرة، دار الحديث، د.ت) ص50.

([78]) سيد، الدولة الفاطمية، ص 214.

([79]) المقريزي، الخطط، ج2 ص 346.

([80]) سيد، الدولة الفاطمية، ص 214.

([81]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص 15.

([82]) المقريزي، الخطط، ج2 ص 242.

([83]) سيد، الدولة الفاطمية، ص 216.